رسالة في لا إله إلا اللّه

تأليف الراجي عفو ربه
أبي محمد أحمد بن لطف الديلمي
عامله ربه بأحمد لطف

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م

صف وإخراج

يحيى محمد حسن الجيوري

للتواصل :

٧٧٧٣٧٧٥١٥ -٧٧٤٤٤٠٩٤- ٧٧٧٩٩٣٧٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على مختاره ومصطفاه، وعلى آله الهداة.

أسأل الله الذي حبب إليَّ ورغبني في الخوض في معاني لا إله إلا الله أن يؤيدني بمدده، ويمدني بتأييده، حتى أتمكن من استنباط الثمر من أكمامها، والدر من نظامها، وأن يجعل ذلك فيه ، وابتغاء مرضاته، وينفع بها آمِّينَ الفوزَ وطُلَّابَه، وقد صوبت الفكر فيها وصعَّدته، فوجدتها في مقام التوحيد غنية ومُغنية ، غير مُنضية ولا مضنية، قريبة المنال، دانية القطاف، مسعفة بمطلوب الطالب، ومنية الراغب، سادَّة لسغب الساغب، شافية كافية، فإن قمتُ بحقها، وأديت واجب خدمتها، فلله الفضل والمنة؛ إذ الخير كله منه ، وهو ذو الحول والمُنَّة[1]؛ وإن قصرت فلفقدان الأهلية.

(١) المُنَّةُ بضم الميم: القوة.

وما أبرئ نفسي إنني بشر أسهو وأخطي ما لم يحمني القدر

(فصل)

مما نقله الجاحظ لبعض الخطباء ما يلي:

أشهد أن السماوات والأرض وما بينهما آياتٌ وآلات، وشواهد قائمات، كلٌّ يؤدي عنك الحجة، ويشهد لك بالربوبية، موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، التي تجليتَ بها لخلقك، فأوصلتَ إلىٰ القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر، ورَجْم الظنون، وهي مع اعترافها لك وافتقارها إليك شاهدة بأنك لا تحيط بك الصفات، ولا تحدّك الأوهام، وأن حظ الفكر منك الاعتراف لك. انتهىٰ المراد من الجزء الأول من البيان والتبيين.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «التوحيدُ ألَّا تتوهَّمَه، والعدلُ ألَّا تتهمه»، وقال أبو بحر الجاحظ: التوحيد ألَّا تجعله ذا أجزاء، ولا تُشَبِّهَهُ بذي أجزاء.

الإله

لا حاجة إلى الخوض في اشتقاقه، وإنما نقول ما هو الإله؟ ومَنْ يصح أن يطلق عليه إله؟ ولماذا قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٢، ٤٣].

الإله: هو الموجود الذي لم يسبق وجودَه عدم، الخالق لكل مخلوق، الرازق كل مرزوق، الواحد الأحد.

الأحد الواحد

الأحد: قلبت همزته واوًا، وذهب أبو العباس المبرد إلى أن الأحد لا يثنى ولا يجمع، وإنما التثنية والجمع للواحد؛ والظاهر أن الأحد: هو الذي لم يشارك في صفات الكمال، والواحد مفتتح العدد.

معنى لا إله إلا الله

بهذه الكلمة المباركة وهي كلمة الله العليا- بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، ومن أجل ترسيخها خلقت السماوات والأرض وما بينهما، ودلا على القدرة والعلم.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان:٦١، ٦٢]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران: ٩٠، ٩١].

(مَنْ)

مَن خلق السماء؟ ومن جعلها مستقرة في الهواء بلا عمد؟ كما قال علي عليه السلام: «بلا عماد يدعمها، ولا دسار ينظمها»، وكذلك الأرض مَن يمسكها؟ ومَن أرساها بالجبال؟ ثم مَن أرسى جبالها؟ ومن حفظها وحفظ السماء أن تزولا؟ ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[فاطر:٤١]، ومَن خلق النجوم هداية للناس؟ ومَن سَيَّر سائراتها وأرسى رواسيها؟ ومَنْ سخر الشمس والقمر وقدر لكلٍّ منازل؟ ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾[يس:٤٠]، ومَن قَدَّرَ الليل والنهار منازل وجعل للشمس مشارق وللقمر منازل؟ ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ**﴾[آل عمران:١٩١].

ثم ارجع البصر إلى الأرض﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[الذاريات:٤٨] مَن جعلها قابلة للسكن، قابلة لإنبات النبات والأشجار والأثمار والمرعى؟! ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النمل:٦٠، ٦١]، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[الذاريات:٤٩]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[الشعراء:٧-٩]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الرعد:٤].

مَنْ أنبت الحبَّة؟ وأنت ألقيتها حبة يابسة ميتة، وألقيت النواة يابسة تشبه عود الحطب. مَنْ حَوَّلها إلىٰ شجرة خضرا؟! ثم من أخرج منها ما أخرج ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام:٩٩].

الماء

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[الواقعة:٦٨، ٦٩].

(آية المطر)

وسَيْر السحاب إلىٰ المحل المراد وإنزاله، وكيفية إنزالـه ومـا تحمله السحاب؟ وكم تحمـل؟ وسـوق الريـاح للسحاب؟!! ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:٥٧].

التشبيه في القرآن البديع

شَبَّهَ الأرض بالأم القابلـة للحمـل، وشـبه المـاء بـما ينزلـه الرجل في رحمها من الولد فحملت وأنجبت .

(فصل منه)

إنزال المطر: كرر سبحانه وتعالىٰ آية إرسال الريـاح وحملهـا للسحاب، وحمل السحاب لما يزن ملايين الأطنـان مـن المـاء،

وإنزاله بقدر معلوم، وهي آية باهرة للعقول، محيرة للألباب، لو اجتمع من في السماء والأرض على هذا الصنع وإنزاله بهذه الكيفية ما قدروا ، وهي آية موجبة وملجئة للإيمان بوجود الله وقدرته وعلمه ورحمته :

أ- إرسال الرياح. ب- حمل السحاب للماء. ج- انتقالها على متن الريح. د- إنزال الماء على صفة محكمة تحير العقول وبقدر معلوم والضرورة المحوجة إلى الماءوكثرة منافعه، فسبحان من تفرد بالعلم والقدرة على إيجاد وإحداث الماء في السحاب.

(الماء في السحاب)

أحدث الله سبحانه وتعالى الماء في السحاب بقدرته، وأنزل القدر المراد منه.

والسحاب يحمل بقدرة الله كمية عظيمة من الماء، وهي عبارة عن جسم ضعيف لو أدخلتَ يدك فيها ما صَدَّها شيء،

حملته بقدرة القدير العليم، ثم جعل الرياح مركبا للسحاب إلى المكان المراد، ثم رجعت الرياح واصطكت الأجرام وحدث البرق والرعد.

ثم يأتيها الأمر الإلهي الذي لا يرد فنزله بقدر معلوم، بقدرة العلم القدير، وعلى هيئة محكمة: قطرات متوالية، ولو صبه صبا لخُدِّدت الأرض وسُحبت الأموال (الأراضي) ، وأضرت بالثمار والزرع وأهلكته.

ومن عادات الماء أنه إذا فتح له منفذ يصب منه ويسكب، ولكنه بحكمة العليم القدير أنزله قطرات متفرقات؛ فسبحان من يريكم آياته، ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾[غافر:٨١]؟.

(نعمة المطر)

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات:٢٢]. لا جرم أنه لو حُجبَ المطر عن الأرض لعظم الخطب وتفاقم الشر ويبست الأشجار والثمار، وهلكت الماشية، وهلك الناس، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[الزمر:٢١].

(نعمة الأشجار والثمار)

خلق الله سبحانه وتعالى أشجارًا ما غرسها الإنسان ولا رعاها، وأخرج المرعى على ضعفه؛ إذ يتأود(١) من الريح الخفيفة، أخرجه من صفاء(٢) صَمّ.

---

(١) يميل يمينا وشمالا بسبب هبوب الرياح.

(٢) الصفاء: الحجر.

ولو ذهبنا نخوض في أجناس الأشجار وأنواعها وهيئاتها ومنافعها لاستغرقنا آلاف الدفاتر والمحابر، ونكتفي بالقليل للفت النظر، وإيقاظ العقل إلىٰ صنع الصانع الحكيم الذي أتقن كل شيء.

(الله سبحانه هو الخالق)

موجود لا عن عدم، كائن لا عن حدث؛ قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف:٨٧].

الإله يجب أن يكون متنزها عن العدم، مختصا بالقدم، والمسبوق بالقدم الذي خلقه غيره لا يستحق أن يُعْبد، ولا هو من الإلهية في شيء؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٢، ٤٣]، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ

﴿يُخْلَقُونَ﴾[النحل:٢٠]. ثم كيف تعبد من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟!!وكيف يصح أن تسميه إلها؟!!

ولعمر الحق إن العابد لغير الله أضل من البهيمة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان:٤٤].

(الخالق هو الله)

وقد تمدح سبحانه وتعالىٰ بأنه هو الخالق لكل مخلوق، وألَّا خالق إلا هو، وأن الخالق هو الذي يستحق العبادة، ولا يجوز عبادة مخلوق، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[البقرة:٢١]، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[النساء:١]، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[الفرقان:٥٩]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾[الأعراف:١١]،

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[الأعلى: ٢، ٣]، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[آل عمران:٦]، ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد:٨]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[البقرة:٢٩].

نعم هذا هو المعلوم عقلا وألا خالق إلا الله؛ لأن المخلوق لا يقدر على خلق نفسه؛ فكيف يخلق غيره؟!!

ولهذا قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[فاطر:٣].

(العلم والقدرة)

لو لم يكن بكل شيء عليما، وعلى كل شيء قديرًا لما تم الخلق، وحفظ من الفساد على أكمل وجه، لكن الإيجاد على أحسن وجه والحفظ والتسخير على أتم نظام وأحكمه وأتقنه- دلت على أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير.

وأنه سَيَّرَ السايرات، وأرسى الراسيات؛ فهو سامك السماوات وحافظها، وداحي المدحوات وحافظها؛ فهو الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وهو الفعال لما يريد لا بمعنى الحركة والآلة.

وهو المخترع بلا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها؛ كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام شرحًا وتبيانًا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:٥٠]، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ

هُوَ أَقْـرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ﴾[النحـل:٧٧]، ﴿فَـسُبْحَانَ الَّذِي بِيَـدِهِ مَلَكُـوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ﴾[يـس:٨٣]؛ فسبحان من تفرد بالكمال، وأحاط بكـل شيء علـما، وأحـصى كل شيء عددا، ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٨، ٩]، يعلم ما تحمل كل أنثـى مـن سـابحات وسواح[1]، وطير يعلمها في وقت واحد، لا يـشغله شـأن عـن شأن، ولا رحمة عن انتقام، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، بل يعلم بما يقع قبل وقوعه؛ ولهذا فإنـه لا جديـد في علمه سبحانه؛ فعلمه سابق لا سائق؛ فهـو قـد علمـه قبـل وقوعه، وهو معنى قولهم سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَـا

---

(١) السواحي: الزواحف.

خَلْفَهُمْ﴾[البقرة: ٢٥٥]، ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾**[الأنعام:٧٣]: أي الغيب والشهادة بالنسبة إلى المخلوق، أما في حق الله سبحانه فكله شهادة ولا يغيب عنه شيء، ﴿**وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** [النمل:٧٥]؛ فسبحان من يجب أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، وأن يفرد بالعبادة؛ فهو الحقيق بها، وهو المستحق لها.

(حق الله سبحانه على عباده)

العبد أعجز أن يؤدي حق الله، لو خلَّى نفسه لعبادته ليلًا ونهارًا لكان الفضل في ذلك كله لله سبحانه على هدايته وتمكينه من أعمال البر وعلى قبوله لها؛ فلله سبحانه الفضل على المحسن، وله الحجة على المسيء.

ألا ترى إلى ما ذكر عن أولياء الله وخاصته، ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾**[مريم:٥٨]، وفي آية: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾**[الأنعام:٩٠]، ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ**

هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر:١٨]، وفي كل صلاة المؤمن يقول: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾**[الفاتحة:٦، ٧]، ويقول لخاتم النبيين عليه وآله الصلاة والسلام، ﴿**وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾**[النساء:١١٣]، ويقول: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾**[النور:٢١]، ويقول سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[الذاريات:٥٦]، لكنه سبحانه طلب القليل، وأمر باليسير، ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾** [المائدة:٦]، قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها»، فمن أضاع ما فرض الله وتعدى حدود الله وعصاه وتكبر عليه كان من حزب الشيطان، وكان معه في النار، ولله من قال إذ قال: ما خلق الله النار إلا بالحق.

(التوحيد)

تفعيل- وحّدته توحيدا: أصفيتُه بهذا الأمر واختصصتُه به، والمراد هنا: أن تخصَّ الرحمن الخالق الرازق بما تنتظمه «لا إله إلا الله» من أركان التوحيد غير مفرط فيها ولا آخذ منها شيئا لنفسك أو لغيرك؛ فمن تم له هذا فقد هدي صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين الذين أمر الله عباده أن يتمسكوا بهديهم، ويدرجوا في مدارجهم، وحظي بالفوز، وكان أهلا لأن يُوفَّق، وتسهّل له بقية أعمال البر؛ ولقد خفي على بعضهم بعضُها، ولم يدركوا أنها من أركان التوحيد، وأنها مما اختص الله بها، ونادى كتابُه أنها للحق تبارك وتعالى؛ فلا تمس وألا يقصر فيها، وحين خفي على البعض فجعلوا لأنفسهم الحق أو لأوليائهم دخلوا بابًا من أبواب الشرك، وحق عليهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٦]؛ إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار.

إن التوحيد لله سبحانه هو الركن الأعظم والواجب الأهم؛ فمن قام به حق القيام فقد دخل باب النجاة ودرج في معالم الفلاح؛ لأنه سيوفق وييسر له مطلوب خالقه منه، ومن فرط فقد جنى على نفسه وضل.

ولما كانت أركان التوحيد متعددة، والواجب القيام بكل جزء منها، وهي منتظمة في ما تحوزه كلمة «لا إله إلا الله»، ومن فرط في شيء مما يقتضيه التوحيد ويندرج تحت «لا إله إلا الله»، وذكره سبحانه في كتابه أنه له وخاص به؛ فقد أُتي هذا من قبل عدم فهمه لما يندرج من أجزائها فيها وغَفَل عنها، وغفل عن نداء القرآن وظن أنه قد قام بها وأضحى من أهلها، وهي غفلة نسأل الله النجاة منها، وأن يفتح قلوبنا وأسماعنا على ما تقتضيه «لا إله إلا الله».

(فَصْلٌ: لا إله إلا اللّه)

هذه الكلمة هي كلمة الله العليا، وهي التي بعث بها المرسلون، وأنزلت من أجلها الكتب، وخلقت السماوات والأرض، والجنة والنار، وبها يدخل الإسلام، وبها يحقن دم من قالها، وكان مباح الدم قبلها، ولا يحقن دمه بالحمد ولا بتسبيح ولا تكبير وإنما بلا إله إلا الله.

هي الكلمة التي ما وزن بها شيء إلا وزنته، وخفَّ معها ، ثقلت في السماوات والأرض، وعظمت وتباركت، وفي الأثر أن من قالها آخر حياته نجا.

(أقسام التوحيد)

أهمها وركنها الأعظم الإيمان بالله ورسوله، وبما جاءت به رسله، ولا يتم هذا إلا بما فرض الله على لسان رسول الله وفي كتابه من الصلاة وغيرها، وتطبيق ما نادى به رسول الله ﷺ:

«إن الله فرض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها»، ولا توحيد إلا مع إخلاص العبادة لله سبحانه ونفي الشريك عنه.

(معنى العبادة)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، ومعنى قول الرسل لقومهم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المؤمنون:٣٢]: أي لا تعبدوا إلا الله.

نعم إن إخلاص الحق سبحانه بالعبادة شرط في قبولها، واعلم بأنه مطلع على نيتك، وما انطوت عليه نيتك؛ فعليك بالخوف والحذر، «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(فصل منه)

إن إعطاء المخلوق شيئا مما هو للحق تبارك وتعالى شرك وعبادة لغير الله، ويشهد لهذا حديث عدي بن حاتم حين نزلت آية التوبة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ﴾[التوبة:٣١] الآية. قال عدي: والله يا رسول الله ما عبدناهم، قال: «أليس كانوا يحرمون الشيء فتحرمونه، ويحلونه فتحلونه»؟ قال: بلى، قال: «فتلكم العبادة». رواه الإمام أبو طالب في أماليه [ص ٢٢٣].

فإعطاء أي مخلوق شيئًا مما اختص به الحق تبارك وتعالى شرك محبط للأعمال، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة:٥]، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾[الزمر:١١].

(ما هو الدين)؟

هناك مسميات ثلاثة: الإسلام، الإيمان، الدين.

الإسلام: عمل الجارحة من الشهادة والصلاة والصوم ... إلخ، ولا يقبل الإيمان إلا معها.

والإيمان: ما وقر في القلب مما أنزل الله: بعضه في كتابه، وبعضه على لسان رسله، وصدقه العمل.

والدين يضمهما معا، وحديث جبريل عليه السلام حين جاء يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان والإسلام؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم»، والإسلام يدل على الإيمان والإسلام؛ قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[آل عمران: ٨٥].

التوحيد: يقتضي ألَّا ينازع الله في شيء مما هو خاص به، ولا يكون لغيره منها شيء، ومن فعل فقد أحبط جميع عمله وصار من المشركين، ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[البينة:٥]، ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ**

الدِّينَ﴾[الزمر:١١]، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر:٢، ٣].

نعم: كل فريضة يجب أن يقوم بها العبد بنية خالصة لوجهه سبحانه حتى من الرياء؛ فإن يسير الرياء شرك! والشرك أخفى من دبيب النمل أي من أثر وطئه، ومن تم إيمانه وعرف الله حق معرفته فهو منزه عن هذا بفضل الله ورحمته، وهو مع هذا إن أعطى فلا يعطي إلا لله، وإن منع فلا يمنع إلا لله، وإن أحب أحب لله، وإن أبغض أبغض لله، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾[الحجرات:٣].

(فصل منه)

بعث جميع الرسل بلا إله إلا الله، هذه الكلمة الجامعة المانعة، وفيها يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله». رواه الأمير الحسين بن بدر الدين في شفاء الأوام.

وقد سبق أن بيَّنا أن الله سبحانه هو الخالق ولا خالق إلا هو، وأنه الرازق ولا رازق إلا هو، ثم إن الخالق هو المالك المستحق للعبادة، والرازق هو المستحق للشكر، قال إبراهيم ﷺ لقومه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت:١٧]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾[سبأ:٢٤]، ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾[النمل:٦٤].

إذن هو سبحانه المستحق لجميع أنواع العبادة خالصة لوجهه الكريم، وكلها تندرج فيما تحكيه وتنطوي عليه كلمة لا إله إلا الله، وتنادي به لا إله إلا الله.

رزقك الله حسن الفهم وحلاوة الإنصاف، وجعل الصدق حَليفك ، ونصرة الحق خِيمَك، لا إله إلا الله هي تَحْقُنُ دم قائلها من القتل، ولو منافقا، وبها يدخل الإسلام.

وفي السيرة أن أسامة بن زيد كان في سرية فرأى كافرا فشهر أسامة سيفه ولجأ الكافر إلى شجرة وهو يقول: لا إله إلا الله فقلته أسامة، ولما رجعوا إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيتُ كافرا فشهرتُ عليه بالسيف ولاذ بالشجرة فقال: لا إله إلا الله ثم قتلته؟ فقال ﷺ: «أنت مثله قبل أن يقولها، وهو مثلك قبل أن تقتله»، وجعل أسامة يتردد على رسول الله ﷺ؛ فيقول له المصطفى ﷺ: «كيف بلا إله إلا الله»!.

أليس هذا دليلا على علو مكانتها عند الله، وأنها عظمت وكبرت في السماوات والأرض؟! وهل يجوز الإخلال بشيء من انتظمته واقتضته من أركان التوحيد؟

(الولاية)

الولاية من أقسام التوحيد المنطوي تحت كلمة لا إله الله الله، وهي قسمان:

أ- ولاية المؤمن للمؤمنين.

ب- ولاية الله تعالى.

(ولاية المؤمن للمؤمنين)

هي ثمرة من ثمار الإيمان الذي آخى بينهم، ولباس من لباس التقوى الذي ضم أشتات المؤمنين على كلمة الحق ونور الهدى، وهو معنى قوله ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن»، «المؤمنون كأسنان المشط»، «المسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا»، «المؤمن أخو المؤمن لا يسلمه ولا يخذله ولا يظلمه ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم». ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ

﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[التوبة:٧١]، وهذه الولاية واجبة على المؤمن للمؤمن، وتحرم من المؤمن للكافر والفاسق، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة:٥١].

ومما يؤسف له استهانة البعض بولاية المؤمنين؛ فقد رغب بعض اليمنيين عن الجنسية اليمنية وهي الجنسية الإسلامية حقا، وتجنسوا بجنسية الأجانب أعداء الإسلام؛ طمعا في حطام زائل، وما أظنهم يسلمون من خطر هذه الموالاة وتبعاتها.

(ولاية الله)

أما ولاية المملوك لرب العالمين فهي تتلخص في انقياد الرقيق المملوك لمالكه ورازقه وراعيه وكالئه ومحاسبه على الصغيرة والكبيرة؛ فهي إذن مما بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب، ناهية ومحرمة لولاية غيره؛ لأنها إعراض عنه، وتمسك بمن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعا، وهذا من البعض جهل

بحق الله سبحانه، وجهل لعظمته وقدرته.

(لا إله إلا اللّه)

فلو عرف هذا الجاهل لا إله إلا الله وما تقتضيه وما تحمله من المعاني للجأ إلىٰ الله وقال: يا رب **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾**[البقرة:١٨٦] من أقرب إليه: الله تعالىٰ أو الميت في قبره الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟ من أقدر؟ من أحق بالدعاء والضراعة؟! **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾**[الإسراء: ٥٦، ٥٧].

(ولاية الله سبحانه)

تتحقق هذه الولاية مع سابقتها اسما، وتختلف معنى، وسبق الخوض في ولاية المؤمن للمؤمن، أما ولاية الحق تبارك وتعالى فهي من العبادة، وهي من الإيمان بمكان، ومن صحة العقيدة بمكان فهي ألا تعبد يا إنسان إلا إياه، ولا تستطيع الفعل إلا به ، ولا ترجو الخير إلا منه، وتعتقد أنه هو المالك حقا لك ولما بيدك، وأن عليك أن تقف موقف المملوك الذي لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وألا وجوب لشيء ولا تحريم له إلا منه سبحانه؛ قال تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾[الأعراف:٣]، وكم من آية بيّنة محكمة تنادي باختصاصه سبحانه بالولاية، وتحريم أي تشريع من غيره تحليلا أو تحريما، وجعل أي شيء منها لغير الله محبطٌ للعمل.

(وإياك نستعين)

إذا استعنت فاستعن بالله، وإذا سألت فاسأل الله في أمرك كله يغنيك بلا مال، ويؤانسك بلا عشير، وينصرك بلا معين، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[الطلاق:٣]، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾[الشورى:٩]، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[الأعراف:١٩٦]، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧]، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الزمر:٣]، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد:١٦] بهذا يتبين لك أن الولاية من صريح العقيدة الإيمانية الصحيحة ومحضها

وخلاصتها؛ فحذار ثم حذار أن تزل قدمك فيعظم ندمك، وتنتظم فيمن يقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[الفرقان:١٤].

(الشفاعة)

هي مما تقتضيه كلمة «لا إله إلا الله»، ولا تقع ولا تنفع صاحبها إلا بإذن الله، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]؛ لأنه سبحانه هو المالك للأمر كله في يوم الدين، وشرحها العلماء بأنه مالك الأمر كله في ذلك اليوم.

لا ريب أن الله تبارك وتعالى يمن على حبيبه وخاتم أنبيائه ومصطفاه بأن يأذن له أن يقوم المقام المحمود (الشفاعة) وهي إحدى الخمس التي أعطيها المصطفى ﷺ ولم يُعطها أحد من النبيين قبله؛ كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الأعظم زيد بن علي في المسند الشريف. نسأل الله أن يجعلنا من

تشملهم شفاعته.

وأرى أنه من الأفضل ألا يعول المرء عليها فيقصر في واجب؛ فقد قال بعض العلماء: «لأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتقع في المخافة». اهـ.

ثم اعلم أنه لا شفاعة إلا من بعد إذن مالك يوم الدين ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]. والحق الصحيح أن متعاطي الكبيرة إن مات معها هو ظالم لنفسه لا تناله الشفاعة؛ لقوله سبحانه: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر:١٨]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء:٢٨]، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[طه:١١١]، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[الزمر:٤٣، ٤٤]، وقد كذب بعضهم على رسول الله ﷺ؛ فروى عنه : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، وهذا يعارض كتاب الله معارضة سافرة، وكأن المختلق له لم يقرأ آية سورة النساء ،

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء:١٨]؛ فانظر كيف سَوَّى مالك يوم الدين بين المصر على الكبيرة حتى مات، ومن مات كافرًا؟!!

ولا يخفاك أن آيات الوعد والوعيد أخبار وليست بأمر ولا نهي، والأخبار لا يدخلها نسخ ولا تخصيص؛ لأنه يؤدي إلى الكذب في الأخبار؛ ولهذا رد علماء الأصول حديث أم المؤمنين عائشة: «ما مات رسول الله حتى أحلت له النساء»، تريد نسخ قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ [الأحزاب:٥٢] الآية، وهذا أي الشفاعة لأهل الكبائر أمر مردود لا يقبل عند أولي العلم والعقل؛ لأنه ستتحول الصفة والتسمية للجنة؛ فبدلا من تسمية الجنة دار المتقين كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[النحل:٣٠] ستصير دار الفجار والمجرمين أهل الكبائر !!!

ومعاذ الله أن يصدر مثل هذا الحديث الموضوع المختلق

عمن لا ينطق عن الهوى فيخالف ما أنزل عليه من مالك يوم الدين، وأهل الكبائر هم ظالمو أنفسهم إذا ماتوا مصرين عليها، ونص كتاب الله: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[غافر:١٨]؛ فحذار أن تغتر بفرية ما فيها مرية، وعليك بالوقوف مع نص القرآن؛ فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من تمسك به نجا، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.

كيف والله يقول على لسان عبده ونبيه: ﴿**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الأنعام:١٥]؟! ولم كان يقوم حتى تورمت قدماه ويُسْمَعُ له من البكاء أزيز كأزيز المرجل؟!! ولم قال الحق سبحانه: ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة:٨]، ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن:٤٦]، ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾[الحجر:٤٥]، ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**﴾[إبراهيم:١٤]، فحذار حذار ، فومن أنزل الكتاب

أنه لا نجاة إلا باتباع الكتاب والتمسك به.

ولا شك أن من مات مصرًّا على كبيرة أو قتل نفس مؤمنة بغير حق أو موالاة للكافرين وسائر أعداء الله قد ورد صريح نص القرآن بدخوله النار، لا شفاعة له؛ لأنه لا نسخ أو تخصيص لآية بخبر، وإذا عارض كتاب الله شيء رددناه وتمسكنا بكتاب الله، ومعارضته لما أنزل الله أكبر دليل على كونه كذبا لا يجوز روايته والتحديث به؛ فضلا عن عدم جواز اعتقاد صحته والعمل به؛ لأنها مخالفة للقرآن الذي هو حجة الله على العباد.

وهل هذا إلا مثل ما حكى الله عن بعض الممنين أنفسهم بالباطل؛ إذ قال عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٨٠، ٨١]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ

﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[آل عمران:٢٤].

أليست هذه الأمنية متفقة مع أمنية أهل الكتاب في المعنى؟! بلى، ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨]، وكأن الحق خاطب الفريقين بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء:١٢٣]، صدق الله وكذب الخراصون.

(الحكم لله وحده)

حينما أحس رئيس القاسطين وزعيم الفئة الباغية بهزيمة جيشه أهل الشام ونصر جيش أخي رسول الله عليه السلام استدعى ابن النابغة عَمْرًا وطلب منه حيلة تبعد الخطر عنه وعن جيشه؛ فأشار برفع المصاحف، وأن يقولوا: «لا حكم إلا لله»؛ فتخاذل أهل العراق ، وقال علي عليه السلام: «كلمة حق يراد بها باطل»، وهي بغيتنا في هذا المقام، ولا جرم أنه لا حكم إلا لله، وأنها كلمة من علي عليه السلام وقد قررنا عصمته في رسائل سابقة، وهي مؤيدة

بقوله تعالىٰ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[يوسف:٤٠]، ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص:٧٠]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وفي سورة المائدة التي كلها محكمة ليس فيها شيء منسوخ معنا ثلاث آيات متواليات : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٧] كان عندي فيها إشكال فقدرت محذوفا؛ إذ لا بد من تقدير محذوف في الآية؛ لتوقف الصحة الشرعية عليه؛ لأنه سيقال: «هناك الكثير من الناس عاشوا طيلة حياتهم ولم يحكموا بما أنزل الله ولا بغير ما أنزل الله!! قلنا: هنا حذف تقدير : (ومن لم يحكم – حين يحكم– بما أنزل الله).

وهذا التقدير من دلالة الاقتضاء؛ لأنه يتوقف عليه الصحة الشرعية. اهـ والحكم في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] يتناول الوجوب والتحريم والنسخ .

وعند الأصوليين أن الحكم هو القول الموجب لما تضمنه نحو قول الحق سبحانه: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[الأنعام:٧٢]، والنهي نحو: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾[لقمان:١٣]، والنسخ: نسخ حكم:

١- إلى غير بدل نحو تحريم مجامعة الرجل أهله في ليالي رمضان، نسخ بقوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾[البقرة:١٨٧].

٢- وإلى بدل نحو قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال:٦٦] الآية، ومن النسخ إلى بدل نسخ وجوب قتال الواحد للعشرة إلى وجوب قتال الواحد للاثنين كما في آية الأنفال.

وأظن أنه لا يجوز أن يدعي شخص لنفسه أو لغيره حق التشريع، ولا أن يوجب شيئا لم يوجبه الله، أو يحل شيئا حرمه الله، أو يحرم شيئا أحله الله في كتابه، أو على لسان رسوله عليه وآله السلام؛ لأنه مشاركة له في خاصة من خصوصياته مما تضمنه لا إله إلا الله.

وإذا كان الله سبحانه يقول لرسوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية:١٨]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾

[الشورى:٤٨]، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[فاطر:٢٣]؛ فكيف بمن هو دون المصطفى ﷺ؟.

ولعل أئمة المذاهب حرصوا كل الحرص على موافقة ما جاء وحيا أو سنة، وألا يكون لأحدهم قول مخالف لآية محكمة أو حديث صحيح من كلام رسول الله ﷺ حتى أُثر عن الشافعي قوله - أو كما قال- : «إذا وجدتم دليلا مخالفا لقولي فارموا بقولي وراء الحائط»، هكذا الورع؛ لأن التشريع بإيجاب شيء أو تحريمه من أركان التوحيد، ومما تقتضيه لا إله إلا الله وهو أن التشريعات دلت «لا إله إلا الله» على اختصاصه بها، وتحريم مشاركته فيها، ولو فرضنا وجوده فهي غفلة عما تقتضيه «لا إله إلا الله»، ومن تجرأ على تشريع ما لم يشرعه الله فهو منازع له في خاصية من خواصه، ومن اتبعه يصدق عليه قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:١٢١]، وقوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:٢١].

نعم : العبد هو عبد كما قال سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا*لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾[مريم:٩٣، ٩٤]، ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص:٧٠]، وهل للعبد أن يحكم دون إذن سيده في خاصة من خواصه، بل في أهم شيء وهو ركن من أركان التوحيد والإلهية. ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥]، وهو يقرأ القرآن ويقرأ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾[المائدة:٥٠]؛ إن الحكم بغير ما أنزل الله اتباع للهوى، فإن قال : إنه من الله ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة فهو مفتر، وإن قال: إنه منه زيادة فهو مشرك منازع لله في ملكه، إذا كان العبد كما قلنا هو العبد لا يملك فالإله هو الإله الذي يملك كل شيء، والعبيد وما بأيديهم ملك لله سبحانه.

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾

الحكم هو الأمر، والأمر قد يجيء بمعنى الشأن، ويجمع على أمور، وبمعنى افعل المقتضي للطلب، ويجمع على أوامر؛ فالأمر بشقيه لله من دون تخصيص، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ [غافر:٢٠]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقد ضرب الحق سبحانه لعباده مثلا في قبح مشاركتهم له في شيء من خواصه؛ فقال: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[الروم:٢٨]، أليس بقبيح وحرام ومعيب أن مملوكا يشارك مالكه فيما هو خاص به؟! فكيف يُشَارَكُ مالكُ السماوات الأرض وما بينهما فيما هو خاص به؟

وما عذرك عند لقائه؟ هذا ومن عمل ببدعة المشرع شاركه في إثمه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

[الأنعام:١٢١]، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل.

وهنا وقف القلم، وركع وسجد لمن أقسم بالقلم، أسأله قبول ما هدَىٰ إليه، وأن يجعله لوجهه، وقد تكفل بطبعه على نفقته بعض المحسنين؛ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]. حرر بتاريخه الخميس ٢٣/ شعبان/ ١٤٤١هـ الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠٢٠م.

كتبه/ أبو محمد أحمد بن لطف الديلمي

عامله ربه بأحمد لطف

الفهرس